المرأة الجنوبية تخرج عن صمتها بمناسبة عيدها العالمي (الثامن من مارس)..

أصوات نسائية غاضبة: لا نريد احتفالات نريد استعادة كرامتنا والتخفيف من معاناتنا

رصد / أحمد حسن العقربي

عانت المرأة قبل الإسلام الكثير من عوامل الظلم والتمييز والانتهاكات لكرامتها الإنسانية ، ففي العهد الروماني القديم كانت المرأة محرومة من حقوقها ولاحق لها في الملكية ، أما شريعة "حمورابي" فقد حطت من كرامتها ولذلك كان على من يقتلها أن يقدم قيمتها إلى وليها أو يقدم له بنتا مقابلها !.. أما في الحضارة الهندية كان خلاص المرأة مرهوناً بالموشكا - أي الانفصال عنها - وكانت حقوقها وأموالها منوطة بزوجها، وكان حقها في الحياة منتهيا بانتهاء أجل الزواج ، فإذا مات الزوج حُكم عليها بالموت وأحرقت معه وكأنها قطعة منه ! ، وبعض الشعوب يقبرونها مع زوجها، وهكذا عاشت المرأة مضطهدة عبر القرون، إلى أن أتى الإسلام فكرَّمها أفضل تكريم، لكن البعض يلوي بأعناق النصوص؛ كي يعيدها إلى قرون خلت واندثرت، والمرأة الجنوبية كانت من ضمن ذلك الطيف المضطهد في الحقب المتتالية، فقد كانت قبل عقدين ونصف، شأنها شأن الرجل لها ما له وعليها ما عليه، فكانت في الفن وفي الطب والإعلام وفي السياسة والسلك العسكري والدبلوماسي، وكانت الباحثة والمعلمة والعاملة في المصانع، وكانت المنافسة الأولى على مستوى شبه الجزيرة العربية، حتى أتت الوحدة ليعدن إلى عصر الاضطهاد، وهن الشريحة الأضعف في المجتمع، فشاهدنا المرأة الجنوبية، تغتال وتعتقل وتعذب وتبتز فكانت معطاءة ولّادة للشباب الأبطال، حيث زرعت نهج المقاومة لكل من ينتهك حرمتهن، أو حرمة وطنهن، ومن هذا المنطلق بدأن بانتزاع حقوقهن؛ لاستعادة مجدهن السابق، فإلى التفاصيل:

المرأة الجنوبية اغتيلت واعتُقلت وتم الاعتداء عليها وقدمت الشهداء في مجابهة احتلال (بريطانيا والشمال)

مراحل معاناة المرأة قبل الإسلام

في العهد الجاهلي كانت المرأة محرومة من كثير من الحقوق الإنسانية وفي مقدمتها حق الحياة وحق الميراث ، فقد كان للأب الحق أن يئد ابنته عقب ولادتها مباشرة في حفرة ، وكانوا يعتبرون ميلاد البنت عيباً ، وكانت بعض قبائل العرب تلجأ إلى قتل أولادها ذكوراً وإناثاً تحت تأثير الفقر ، وكان للرجل أن يتزوج من عدد من النساء وكان يباح عند بعض العرب أن يشترك جماعة من الرجال في زوجة واحدة !.

لكن هناك في الملاحم الشعبية في العهد الجاهلي برزت نساء بألف رجل وانتزعن حقوقهن وتحدين الموت في سبيل حريتهن .

مكانة المرأة في الإسلام

أما في الإسلام فقد نظم التشريع الإسلامي حياة المرأة ومنحها حقوقاً إنسانية ومدنية واقتصادية واجتماعية متعددة ، فحرم قتل البنات التي كانت في العهد الجاهلي ،وثبت للمرأة حق الحياة ، إلى جانب ضمن المرأة حق الميراث ، وحقق لها الاستقلال الاقتصادي فيما تملك وجعل للزواج أحكاما ووضع للطلاق وتعدد الزوجات قيوداً وقرر للزوجين من الحقوق والواجبات ما تستقيم به الحياة الزوجية في اختيار شريك حياتها ، إلى جانب حقها في العلم وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة ، وحقها في الجهاد واستعادة المرأة المسلمة في العصر الإسلامي الأول بما كسبته من حقوق وامتيازات ، فشاركت في مختلف مجالات الحياة ، واشتغلت بالأدب والسياسة والاجتماع والقضاء والتدريس والطب ، وظهر عدد كبير من النساء المسلمات ممن تزخر بسيرتهن عن كتب الأدب العربي والتاريخ الإسلامي ، وعلى سبيل المثال العالمة السيدة عائشة زوجة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وكذلك الشاعرات في العهد العباسي وما أعقبتها من الدويلات الإسلامية ، وفي العهد المعاصر ظهرت الشاعرة العراقية نازك الملائكة ، والكثير من الشاعرات وكاتبات القصص والروايات والمسرحيات ، وأصدرت قوانين الأحوال الشخصية التي رفعت من مكانة المرأة ، ومنها على سبيل المثال قانون الأحوال الشخصية في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية سابقاً ، وقانون الأحوال الشخصية التونسي وهما في طليعة قوانين الدول العربية آنذاك.

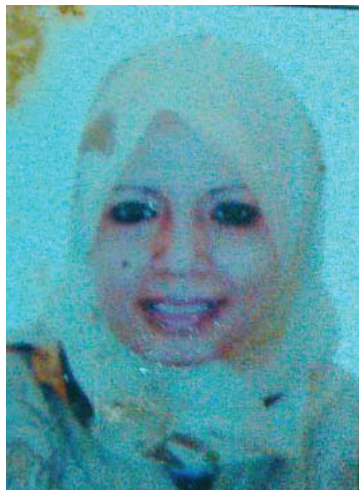

وضع الجنوبيات في الثلاثينات والأربعينيات

عاشت المرأة في الريف في ظروف من حياة الذل والإملاق ، فهي اليد اليمنى للرجل للبحث عن لقمة العيش من خلال العمل في الزراعة أو كراعية للمواشي وتقوم بحمل الحطب والماء إلى المنزل وتخاف الاختلاط مع النسوة ، فهي قنوعة بذلك وطموحها أن تمتلك ثوباً أو ثوبين مطليين بالصباغ الأسود ، وفي ظروف الفقر لا تعرف اللحم إلا عند الموت والزواج والأعياد الدينية ، تعيش في منزل أو كوخ خال من أبسط مقومات الحياة فحصير للزوج وحصير آخر للأولاد ، وأدواتها المنزلية متواضعة مصنوعة من الخشب أو من سعف النخيل ، وكانت تتزوج في سن العاشرة أو الثانية عشرة بحكم التقاليد ، وكانت تؤمن بالسحر والجن والشعوذة ولا تمارس حياتها الزوجية إلا في الظلام وعلاقتها الاجتماعية محدودة بالجيران وهي لا تعرف آداب الحديث والحديث مع الزوج في شؤون الدنيا ، وحتى عند خروجها من القرية تجدها تمشي محاذية للجدران بعيداً عن الطرق المعهودة ، وكانت تحرم من الميراث أو يشتري حقها من الأسرة ولا يجوز أن تتصرف في ميراثها ولا يُسمح لها بأن ترى خطيبها فتتزوج دون رضاها وبعضهن يُرغمن على الزواج من كبير السن .

المرأة في مدن الجنوب العربي

لم تكن آنذاك في الثلاثينات في الجنوب حتى ذاك الوقت إلا مدينة واحدة هي (عدن) ، وحياة المرأة في عدن قد اختلفت قليلا بسبب ظروف تشجيع هجرة الجاليات الأجنبية ، فقد اكتسبت المرأة الكثير من العادات والتقاليد من نساء الجاليات الأجنبية غير أنها احتفظت بعاداتها وتقاليدها العربية والإسلامية ، وفي ظل غياب المدارس فسعيدات الحظ اللاتي درسن القرآن الكريم في مدارس الفقهاء وتنتظر في المنزل حتى يرزقها الله .

وفي فترة أواخر الخمسينيات مروراً بالستينات شهدت المرأة في عدن تطوراً كبيراً فكانت السباقة في التعليم في الجزيرة والخليج ، وانظمت في منظمات المجتمع المدني والأحزاب وظهرت قائدات في العمل الوطني والتحرري والكفاح المسلح ، فمنهن نجوى مكاوي ورضية إحسان الله والمناضلة دعرة ونبيهة عزيم والفنانة فتحية الصغيرة والمذيعة فوزية غانم ونجلاء شمسان وحميدة زكريا ورقاية حميدان والمناضلة صابرين وأخريات كثر.